أوراق في التاريخ الاقتصادي

مراجعة كتاب

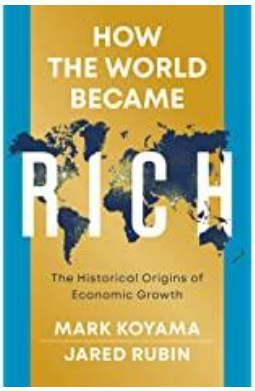

مارك كوياما و جاريد روبن*: كيف أصبح العالم ثريًا: الأصول التاريخية للنمو الاقتصادي

المراجع: جويل موكيَر[1]*
ترجمة: مصباح كمال**

Mark Koyama and Jared Rubin. *How the World Became Rich: The Historical Origins of Economic Growth*. Cambridge, UK: Polity Press. x + 259 pp. $24.95 (paperback), ISBN 978-1509540235.

Reviewed for EH.Net by Joel Mokyr, Departments of Economics and History, Northwestern University.

الإفصاح الكامل: يظهر اسم هذا المراجع على الغلاف الخلفي لهذا الكتاب مؤيدًا بإيجاز اطروحة الكتاب وهو ما يعرف بالدعاية الترويجية. بالنظر إلى أنه في الكلمات الأربعين للتأييد لا يمكن للمرء أن يقول إلا القليل جدًا، فإن هذا الكتاب يستحق مناقشة أكثر تفصيلاً.

إن أي أستاذ يقوم بتدريس التاريخ الاقتصادي ويرغب في إجراء مسح حديث للأدبيات الكبيرة والمهمة سيجد أنه من المفيد قراءة هذا الكتاب للتركيز على الأبحاث الحديثة المدرجة في قائمة المراجع الطويلة والشاملة. علاوة على ذلك، يجب عليهم التفكير بجدية في جعل طلابهم يقرؤونها لفصولهم الدراسية. الكتاب عبارة عن مسح واسع النطاق ولكنه مكتمل بشكل ملحوظ ويمكن استيعاب محتوياته بسهولة عن **الإثراء**

[1] نشر موقع شبكة التاريخ الاقتصادي في آذار 2022 ترجمة مراجعة جويل موكير لكتاب ديدرا مكلوسكي و آرت كاردن، "دعني وحدي وسأجعلكَ ثريًا: كيف أثْرَتْ الصفقة البورجوازية العالم."
https://eh.net/book_reviews/leave-me-alone-and-ill-make-you-rich-how-the-bourgeois-deal-enriched-the-world/
إن ما يعرضه المُراجع وما يرد في الكتاب قابل للنقاش، ولعل الزملاء المختصين ينبرون للكتابة عن الموضوع.

أوراق في التاريخ الاقتصادي

العظيم Great Enrichment، وظهور الاقتصادات الحديثة والمزدهرة التي توفر لنا مستوىً معيشيًا ماديًا لم يكن من الممكن أن يحلم به أسلافنا. كيف ولماذا حدث النمو الاقتصادي economic growth الحديث، متى وأين حدث، وكيف حاول الاقتصاديون فهم هذه الظاهرة، هو موضوع هذا الكتاب. كتبه اثنان من أفضل العلماء الشباب في مجالنا، وكلاهما له مساهمات مهمة في موضوع هذا الكتاب.

إن العديد من القضايا التي يثيرها هذا الكتاب مثيرة للجدل للغاية في مهنتنا، ولسبب وجيه: هذه أسئلة صعبة يمكن للأكاديميين المطلعين أن يختلفوا بشأنها ويفسروا الأدلة بطرق مختلفة. ما مدى أهمية المؤسسات حقًا؟ ما هو دور الثقافة في النمو الاقتصادي؟ هل كانت الجغرافيا قَدَرًا؟ ما هو دور النقابات الحرفية craft guilds في التنمية الاقتصادية لأوروبا الحديثة في عقودها المبكرة؟ كيف يتعيّنُ علينا التفكير في دور الإمبريالية والعبودية في الثورة الصناعية والنمو اللاحق للدول الصناعية؟ هل كانت الأجور المرتفعة جيدة أم سيئة للتقدم التكنولوجي؟ هل كانت الحرب عاملًا إيجابيًا في النمو الاقتصادي؟ هل كان نمط الزواج الأوروبي Marriage Pattern عاملاً إيجابياً في التنمية الاقتصادية للقارة؟

إن المقاربة المسكونية والمتوازنة التي يتبعها المؤلفان تجاه هذه الأسئلة تشبه إلى حد كبير الحاخام في قصة يهودية شهيرة. وفقًا للخرافة، فإن حاخامًا كان ينظر في قضية أمام جمهور كبير من تلاميذه. زوج وزوجة يمثلان أمام الحاخام لمناقشة حياتهما المنزلية المضطربة. أولاً، يعرض الزوج قضيته، ويسرد جميع ذنوب زوجته ورذائلها. يستمع الحاخام باهتمام ويصدر حكمه: الزوج على حق. ثم يناشده تلاميذه: يجب أن تسمع قضية الزوجة أيضًا. يوافق الحاخام على ذلك ويستمع إليها وهي توضح قضيتها القوية ضد زوجها الكسول والعنيف. ثم يعلن حكمه الثاني: الزوجة على حق. احتج أفضل تلاميذه: لكن أيها الحاخام، كيف يمكن أن يكون **كلاهما** على حق؟ يستمع الحاخام ويقول: التلميذ محق أيضًا.

يقدم روبن وكوياما مسحًا متوازنًا ومنصفًا لما ورد في الأدبيات، لكنهما يترددان في اتخاذ مواقف قوية. مثل هذا النهج المسكوني يميزهم عن كلارك في كتابه وداعًا للصدقات *Farewell to Alms* وكتاب ماكلوسكي الكرامة البرجوازية *Bourgeois Dignity*، حيث يتناول المؤلفان قضايا مماثلة ولكن بآراء أقوى بكثير. هذا النهج المدروس والمعتدل للمسح، وأسلوبهما الأنيق والواضح تمامًا، ومعرفة المؤلفين المثيرة للإعجاب بحجم المطبوعات الكبير والمعقدة، يجعل هذا الكتاب مثاليًا للدورات المتقدمة حول تدريس التاريخ الاقتصادي العالمي لطلاب الاقتصاد.

إنه لمن الممتع بشكل خاص أن نرى كتابًا مثل هذا يولي اهتمامًا واضحًا للمؤسسات والثقافة institutions and culture ، وهما موضوعان كانا حتى وقت ليس ببعيد من المُحرَّمات في مجالنا ولكن يبدو أنهما يلعبان الآن أدوارًا مركزية بشكل متزايد. يحتوي الكتاب على فصول كاملة عن كل منهما، وفي حين أن المناقشة بطبيعة الحال بعيدة عن كونها شاملة، يقوم المؤلفان بعمل ممتاز بتلخيص بعضٍ من أفضل المؤلفات في هذه المجالات. ما يبقى، بالطبع، دون حل هو سبب قيام الدول المختلفة بتطوير مؤسسات مختلفة وكيف ولماذا تتغير هذه المؤسسات بمرور الوقت وكيف تساعد المعتقدات الثقافية بالضبط في تحديد المؤسسات التي يتوشح بها المجتمع.

القضية الوحيدة التي يتخذ الكتاب فيها موقفًا قويًا نسبيًا هي قضية الإمبريالية الأوروبية وأهمية العبودية وتجارة الرقيق للثورة الصناعية وأصول القيادة التكنولوجية الغربية (الفصل 6). في السنوات الأخيرة، جادلت مناهج "التاريخ الجديد للرأسمالية"، بحماسة لإلقاء اللوم على الغرب والرأسمالية في كل العلل التي يعاني منها العالم، وبأن الغرب أصبح ثريًا إلى حد كبير على حساب الأفارقة والآسيويين الذين استعبدهم الأوروبيون بلا رحمة، وباعوهم، واستغلوهم. كما أظهرت الدراسات الأكثر تطوراً والقائمة على معرفة اقتصادية، فإن الأطروحة الشهيرة لإريك ويليامز Eric Williams والمؤيدين الجدد لأطروحته(على سبيل المثال، Berg and Hudson, 2021) التي تقول بطريقة ما أن الثورة الصناعية اعتمدت على الإمبريالية الأوروبية وتجارة الرقيق في المحيط الأطلسي لا يمكن الدفاع عنها بجدية. وبينما ثبُتَ أن الموانئ الأطلسية كانت حاسمة للتنمية الاقتصادية اللاحقة (Acemoglu, Johnson and Robinson, 2005)، لا تزال السلاسل السببية الدقيقة غير واضحة، ويشدد كوياما وروبين بشكل معقول على أنه بدون دعم مؤسسي للتقدم التكنولوجي، وبدون حكم القانون والقيود المفروضة على السلطة التنفيذية، وبدون مجتمع شامل [لجميع الأفراد] نسبيًا، لن يؤدي أي قدر من الاستعمار والقمع لغير الأوروبيين إلى النمو الاقتصادي الحديث.

إن الفهم الذي قدمها الاقتصاديون إلى هذه الأدبيات هو أن النمو الاقتصادي هو في الأساس لعبة محصلة-إيجابية positive-sum game: على المستوى العالمي، لم يؤدِ النجاح الاقتصادي للغرب - في المتوسط - إلى إفقار البقية. وعلى المدى الطويل، فإن النمو الاقتصادي جعل العالم بأسره أكثر ثراءً من ذي قبل – ولكن ليس تمامًا مثل ثراء أوروبا وفروعها (مع بعض الاستثناءات الرئيسية مثل اليابان وسنغافورة). إن السبب أكثر تعقيدًا. مهما كان ما جعل أوروبا تتعلم التحكم في الطاقة والمواد وكذلك

إدارة أنظمتها الاقتصادية بشكل أفضل، فقد سمح لها أيضًا بالتلاعب واستغلال الآسيويين والأفارقة. ولكن إذا كان أي شيء هنا سببًا، فلم يكن الأمر أن **الإمبريالية** هي التي تسببت في **الثورة الصناعية** ولكن العكس: كما أوضح دانيال هيدريك Daniel Headrick في مؤلفه الكلاسيكي حول هذا الموضوع (1981) منذ عقود، فإن ما جعل الإمبريالية الغربية ممكنة قبل كل شيء هو التكنولوجيا الأفضل (انظر أيضًا هوفمان، 2015).

علاوة على ذلك، من المدهش ملاحظة مدى ضعف التوافق التاريخي بين الإمبريالية من أي نوع والنمو الاقتصادي. لقد كانت الإمبراطورية الرومانية أم جميع الإمبراطوريات الجشعة، لكنها لم تتحول إلى التصنيع ولم تشهد سوى تغير تكنولوجي محدود. ولقد أضافت كل من الصين وروسيا في القرن الثامن عشر مساحات شاسعة من الأراضي إلى مملكتيهما، مع عدم وجود آثار ملحوظة على النمو الاقتصادي. في حين أن الثورة الصناعية البريطانية تزامنت مع فقدان مستعمرات أمريكا الشمالية الثلاثة عشر. وبينما كانت بريطانيا دولة تجارية وبحرية ناجحة، فإن مكاسب السميثية [نسبة إلى آدم سميث] Smithian من التجارة مع إمبراطوريتها - كما جادلت ديدرا مكلوسكي Deirdre McCloskey (2010) بشكل مقنع - لم تكن في حد ذاتها كافية لإشعال الثورة الصناعية، ناهيك عن خلق **الإثراء العظيم**. من حيث نصيب الفرد، كانت واحدة من أكبر الإمبراطوريات الاستعمارية هي الإمبراطورية الهولندية في جزر الهند الشرقية، لكنها لم تساعد الهولنديين على التصنيع حتى أواخر القرن التاسع عشر. بدأت بلجيكا مغامرتها السيئة للغاية في الكونغو فقط **بعد** أن أصبحت صناعية. ربما كان الأمر الأكثر لفتًا للانتباه هو أن المشروع الإمبراطوري الأوروبي قد انهار بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن تلك كانت بالضبط السنوات التي كان فيها النمو الاقتصادي في أوروبا أسرع - باستثناء روسيا (التي حافظت على إمبراطوريتها الاستعمارية حتى عام 1991). باختصار، خلص كوياما وروبن إلى أن الاستعمار وتجارة الرقيق "لعبتا دورًا كبيرًا في صنع العالم الحديث" (عبارة غامضة مناسبة) ولكن الأدلة "مختلطة" حول ما إذا كانت مسؤولة عن أن يصبح العالم غنيًا (رأي مهذب لحكم اسكتلندي: غير مُثبَتْ Scottish verdict: not proven).[2]

تكمن الإضاءة الحقة في الكتاب في الإشارة إلى سبب تأخر **الإثراء الكبير** نسبيًا في القدوم، ولماذا ظل عالم ما قبل 1750 - مع استثناءات قليلة - فقيرًا. يستعرض

[2] بموجب القانون الاسكتلندي، قد تنتهي المحاكمة الجنائية بواحد من ثلاثة أحكام، واحد بالإدانة ("مذنب") واثنان بالبراءة ("غير مثبت" و "غير مذنب"). https://en.wikipedia.org/wiki/Not_proven

المؤلفان بشكل مثير للإعجاب الإجماع الذي ظهر حول هذا الموضوع. هناك ثلاثة عوامل رئيسية أدت إلى تراجع الاقتصاد. أولاً، كما بيّن المالثوسيون الجدد مثل غالور وكلارك Galor and Clark، فإن النمو السكاني قبل عام 1750، قضى في كثير من الحالات على ثمار نمو الإنتاجية، كما كانت عليها. ثانيًا، إن الأنظمة الجشعة بمختلف أنواعها والمؤسسات الاستخراجية extractive institutions ("الحالة الطبيعية" كما في كتابات نورث-واليس- فينغاست) لم تكتف يسلب ونهب ثروات الأماكن القليلة التي نجحت اقتصاديًا فحسب، بل أطفأت حوافز الاستثمار والابتكار فيها. وأخيراً، إلى أن أُنشئت المؤسسات للتحكم والسيطرة على تراكم المعارف المفيدة ونشرها، ظلت فرص التقدم التكنولوجي المستدام محدودة للغاية. كما يشير المؤلفان بتفصيل مثير للإعجاب، فإن الثورة الصناعية تعني أن هذه المكابح الثلاثة للتقدم الاقتصادي تتلاشى ببطء لخلق **الإثراء العظيم**، أولاً في عدد قليل من الاقتصادات في الغرب، ثم في المزيد والمزيد من الأماكن حول العالم.

والنتيجة، كما لخص المؤلفان في الفصل 11، فإن "العالم ثري" في عام 2022. ففي أي مكان تقريبًا في العالم يعيش فيه المرء، من المرجح أن تكون الحياة المادية أفضل من قرن مضى، ناهيك عن ألف عام مضى. لقد أدى ارتفاع المد إلى رفع معظم السفن على هذا الكوكب [كناية عن تحسن الأوضاع المادية للناس]، ولكن بشكل غير متساوٍ، وبينما كان الفقر والمجاعة العالميين جزءًا بسيطًا مما كانا عليه في عام 1800، إلا أنهما لا يزالان معنا - في الغالب بسبب الحكم غير الكفء أو الاستبدادي. ومع ذلك، ربما تجدر الإشارة إلى أنه بينما تستمر التكنولوجيا في التقدم، مع وجود اختراقات جديدة تفتح آفاقًا جديدة في علوم المواد، وعلم الوراثة الجزيئية، وفيزياء الطاقة، وأكثر من ذلك بكثير، يبدو أن هناك القليل من التقدم على المدى الطويل في المؤسسات التي تكمن وراء المعجزات الاقتصادية في القرنين الماضيين. إذ لا يبدو أن الدول ذات المؤسسات الضعيفة مثل روسيا تفتقر إلى القدرة على تبني حوكمة أكثر شمولية وانفتاحًا فقط، ولكن حتى في الدول الملتزمة منذ فترة طويلة برؤى التنوير الخاصة بالحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية، فإن المؤسسات التي ساعدتنا على جعلنا أغنياء أكثر هشاشة من أي وقت مضى. قد يكون الصراع بين التكنولوجيا المتزايدة القوة والأنظمة السياسية الهشة التي تنشرها هذه التكنولوجيا هو أكبر تحدٍ لمستقبلنا.■

References

Acemoglu, Daron, Simon Johnson, and James A. Robinson. 2005. “The Rise of Europe: Atlantic Trade, Institutional Change, and Economic Growth.” *The American Economic Review* 95 (2005), pp. 546-579.

Berg, Maxine, and Pat Hudson. 2021. "Slavery, Atlantic Trade and Skills: a Response to Mokyr's 'Holy Land of Industrialism'" *Journal of the British Academy*, Vol. 9, pp. 259–281.

Clark, Gregory. 2007. *A Farewell to Alms*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Galor, Oded. 2011. *Unified Growth Theory*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Headrick, Daniel R. 1981. *The Tools of Empire*. New York: Oxford University Press.

Hoffman, Philip T. 2015. *Why Did Europe Conquer the World?* Princeton, NJ: Princeton University Press.

McCloskey, Deirdre. 2010. *Bourgeois Dignity: Why Economics Can't Explain the Modern World*. Chicago: University of Chicago Press.

North, Douglass C., John Joseph Wallis, and Barry Weingast. 2009. *Violence and Social Orders*. Cambridge: Cambridge University Press.

Joel Mokyr is the Robert H. Strotz Professor of Arts and Sciences and Professor of Economics and History at Northwestern University, and Sackler Professor, (by special appointment) at the Eitan Berglas School of Economics, Tel Aviv University. His most recent book is *A Culture of Growth* (Princeton University Press, 2017).

Copyright (c) 2022 by EH.Net. All rights reserved.

(*) جويل موكير، أستاذ الفنون والعلوم وأستاذ الاقتصاد في جامعة Northwestern University، وأستاذ الاقتصاد (بترتيب خاص) في جامعة تل أبيب. أحدث مؤلفاته كتاب بعنوان **ثقافة النمو** (مطبعة جامعة برينستون، 2017).

(**) مصباح كمال، باحث وكاتب متخصص في قضايا التأمين

تمت الترجمة بتاريخ 7 تموز 2022

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر. 8 تموز 2022

http://iraqieconomists.net/ar/